

إسهامات الاتجاه الماركسي في دراسة المنظمة قراءة نقدية

د. لعلى بوكميش

الجامعة الإفريقية، أدرار

boukemiche@yahoo.com

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على إسهامات أحد أهم الاتجاهات النظرية الكبرى في علم الاجتماع في دراسة المنظمة ألا وهو الاتجاه الماركسي، مع محاولة تقديم قراءة نقدية له. وقد تم التوصل إلى أن المنظمة وفقا للاتجاه الماركسي مكونة من طبقتين متعارضتين في المصالح ومتصارعتين هما طبقة العمال وطبقة الرأسماليين، وأن البناء الاجتماعي للمنظمة يتحدد على أساس ملكية وسائل الإنتاج فالطبقة المالكة لوسائل الإنتاج هي السائدة والأخرى أي غير المالكة هي المسودة. وأن المنظمة تشكل بؤرة الصراع الطبقي الذي ينطلق منها ليشمل باقي المجتمع ولا يتوقف حتى ينتهي الانقسام الطبقي ويزول الاستغلال الطبقي وذلك بانتهاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وتحولها إلى الدولة أي إلى الملكية العامة.

كما تم التوصل إلى عدة انتقادات لهذا الاتجاه لعل أبرزها عدم تحقق تنبؤاته من جهة وعدم صلاحيته لتحليل الواقع الاجتماعي في المنظمات المعاصرة.

Abstract:

This research aims to shed light on the contributions of one of the major important theoretical trends in sociology in the study of the organization, namely the Marxist trend, with an attempt to provide a critical reading him. It was concluded that the Organization according to the Marxist trend composed of two opposing and conflicting classes: working class and capitalist class. And the social structure of the organization is determined on the basis of ownership of the means of production, so class which owner the means of production is dominant class and the non-owner class is the non-dominante class or under-exploitation class. And that the organization is the starting point of the class struggle, which would be built to include the rest of society, which would be built to include the rest of society does not stop until the end of class division and class exploitation disappears and the end of private ownership of the means of production and transformation to the state or to public property.

Also, it has been reached to several criticisms of this trend, the most important are: Lack of the occurrence of the predictions made by this trend, and it's not fit for the analysis of social reality in contemporary organizations.

مقدمة:

المنظمة هي مجموعة من الموارد المادية والبشرية الموجهة لتحقيق أهداف محددة، وقد ظهرت المنظمة الاقتصادية مع ظهور الثورة الصناعية وانتقال المجتمع الأوربي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي، حيث أصبح العمال يتجمعون في الورشات والمصانع لأداء الأعمال، وصاحب ذلك العديد من الظواهر التي تستدعي البحث والدراسة.

لقد حاول الكثير من العلماء والمفكرين دراسة المنظمة وتقديم نظريات لتفسير الظواهر التنظيمية وكذا السلوك التنظيمي، وقد تزعم هذه المحاولات علماء في مجال الإدارة وشاعت وانتشرت نظرياتهم بشكل جعل البعض يعتقد أنه لا توجد هناك إسهامات لعلماء في تخصصات أخرى في دراسة المنظمة ومنها علم الاجتماع.

إن المتأمل للإسهامات التي قدمها علماء الإدارة يجد أنها قد تركزت بشكل أساسي على الجوانب المادية والاقتصادية، وعلى كيفية تحسين أداء المنظمات وزيادة كفاءتها الإنتاجية الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن طبيعة إسهامات باقي العلماء في التخصصات الأخرى ونقاط تركيزهم.

لقد حاول علماء الاجتماع دراسة المجتمع وتقديم تفسير للحياة الاجتماعية وللسلوك الاجتماعي وقدموا بذلك نظريات كثيرة ومتنوعة،¹ وقد انقسمت هذه النظريات خاصة الكلاسيكية منها إلى اتجاهين فكريين أساسيين ومتعارضين هما الاتجاه البنائي الوظيفي والاتجاه الماركسي لكل منها منطلقاته ومسلماته وأسانيده وحججه.

¹ - للإطلاع على تطور النظرية في علم الاجتماع أنظر: نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع: طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمد عودة وآخرون، ط 7، دار المعارف، مصر، 1982.

ولكن هل انحصرت إسهامات علماء الاجتماع في نطاق المجتمع والجماعة والمؤسسات الاجتماعية التقليدية أم أنها امتدت إلى المؤسسات الجديدة التي أفرزتها الثورة الصناعية وما بعدها وعلى رأسها المنظمة التي ظهرت كوعاء جديد للتفاعل الاجتماعي وللحياة الاجتماعية؟

من خلال ما سبق فإننا سنحاول في هذا البحث توضيح إسهامات أحد أهم الاتجاهات النظرية الكبرى في علم الاجتماع في دراسة المنظمة أو المؤسسة ألا وهو الاتجاه الماركسي. وعليه فإن إشكالية هذا البحث تتمحور حول التساؤل الرئيسي الذي مؤداه: - ما هي إسهامات الاتجاه الماركسي في دراسة المنظمة؟ وما هي الانتقادات الموجهة له في هذا الشأن؟ وتتبع أهمية هذا البحث من خلال حاجة الباحثين في علم الاجتماع وخاصة المتخصصين في دراسة المنظمات إلى التعرف على إسهامات علماء الاجتماع والنظرية الاجتماعية في دراسة المنظمة، وخاصة في ظل اعتماد الطلبة والباحثين في علم الاجتماع على كتب في مجال الإدارة الأمر الذي ولد لديهم اعتقاد بعدم وجود مساهمات لعلماء الاجتماع في دراسة المنظمة، وهذا ما سيحاول هذا البحث توضيحه والتصدي له.

ولإجابة على التساؤل الرئيسي السابق اعتمدنا على المنهج الاستقرائي و النقدي ذلك بنتبع واستقراء ونقد الأفكار والمقولات المتعلقة بالاتجاه الماركسي فيما يخص المنظمة.

وقد قمنا بتقسيم البحث إلى أربعة عناصر، تم التطرق في العنصر الأول إلى مقومات الاتجاه الماركسي وذلك بتوضيح منطلقاته الفكرية وأهم المفاهيم الفكرية التي يستخدمها هذا الاتجاه، أما العنصر الثاني فقد تم التطرق فيه إلى كيفية تحليل ودراسة

الاتجاه الماركسي للمجتمع الرأسمالي على اعتبار أن المنظمة الحديثة من أهم إفرازات المجتمع الرأسمالي وعلى اعتبار أن فهم المنظمة مرتبط بفهم المجتمع الرأسمالي وفقا للمنظور الماركسي، بينما تم الحديث في العنصر الثالث عن التصور الماركسي للمنظمة، أما العنصر الرابع والأخير فقد تم تخصيصه للانتقادات الموجهة للاتجاه الماركسي وذلك ضمن إطار تصوره للمجتمع وللمنظمة.

أولاً- مقومات الاتجاه الماركسي:

لا يمكن فهم نظرة الاتجاه الماركسي¹ للمنظمة ما لم نفهم من البداية أسس ومقومات هذا الاتجاه، لذلك سوف نتطرق في هذا العنصر إلى المنطلقات الفكرية الخاصة بهذا الاتجاه وكذلك المفاهيم الفكرية المتداولة ضمنه.

لقد حدد "دارندورف" "Dahrendorf" المنطلقات الأساسية التي يركز عليها

الاتجاه الماركسي فيما يلي:²

¹ - مؤسس هذا الاتجاه هو "كارل ماركس" (1818-1883) الذي ناضل ضد الفقر وعدم العدالة التي ميزت القرن التاسع عشر وكان يعتقد أن الملكية الخاصة والرأسمالية هي سبب الفقر والتهمةيش. (أنظر: David B. Brinkerhoff and Lynn K. White, *Sociology*, 2nd Ed, West: Publishing Company, N.Y, 1988, p. 9. وكان ماركس يعتبر نفسه ناشطاً سياسياً وليس عالم اجتماع، وكان يعتقد أن العلم ليس فقط وسيلة لدراسة المجتمع وإنما هو أيضاً أداة لتغييره. (أنظر: James W. Vander Zanden, *Sociology*, 4th Ed, McGraw-Hill, Inc, N.Y., 1996, p. 11. وللاشارة فإنه قبل سنة 1960 كان أغلب العلماء في الولايات المتحدة الأمريكية يعتقدون أن ماركس رجل إيديولوجي ولكن بعد ذلك التاريخ تغير الوضع وأصبح علماء الاجتماع يعطون لماركس مكانته اللائقة ضمن نوابغ التفكير الاجتماعي. (أنظر: James W. Vander Zanden, Op.cit, p. 11.

² - ارفنج زايتلن، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع: دراسة نقدية، ترجمة: محمد عودة وإبراهيم عثمان، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1993، ص 198. نقلا عن:

Ralf Dahrendorf, *Class and class conflict in industrial society*, Sanford university press, 1959, P.162.

- إن كل مجتمع عرضة لعمليات التغيير في كل جانب من جوانبه، فالتغيير ظاهرة شاملة وكلية الوجود ومستمرة.
- يكشف كل مجتمع في كل جانب منه عن تنازع وشقاق وصراع، فالصراع أيضا ظاهرة شاملة وكلية.
- يساهم كل عنصر من عناصر المجتمع في عدم تكامله وفي تغييره.
- ينهض المجتمع على أساس قهر أعضائه للبعض الآخر.

وبهذا نلاحظ بأن الاتجاه الماركسي لا يؤكد على فكرة التكامل والتوازن كما هو الحال في الاتجاه البنائي الوظيفي بل يؤكد على الصراع والتغيير، وأن هذا الصراع يأخذ صورة شاملة في المجتمع وأنه يمثل جوهر التغيير الاجتماعي.

ويستند هذا الاتجاه إلى عدة مفاهيم رئيسية مثل الحتمية الاقتصادية والديالكتيك والطبقة والصراع الطبقي و قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج والبناء الفوقي، وهذه المفاهيم كلها مرتبطة بأسلوب الإنتاج، فحسب هذا الاتجاه فقد عرفت المجتمعات البشرية عبر التاريخ عدة أساليب للإنتاج، فهناك "الأسلوب الجماعي البدائي والأسبوي والعبودي والإقطاعي والرأسمالي والاشتراكي"¹. حيث يشكل الأسلوب الاشتراكي نقطة تنبؤ عند ماركس يأتي عقب الأسلوب الرأسمالي. وسنحاول فيما يلي شرح المفاهيم المركزية التي يقوم عليها هذا الاتجاه:

أ- **الحتمية الاقتصادية:** تعني الحتمية الاقتصادية أن "العلاقات الاقتصادية هي التي توفر الأسس التي تبنى عليها باقي التنظيمات الاجتماعية والسياسية الأخرى في

¹ - إرفنج زايتلن، المرجع السابق، ص 212.

المجتمع".¹ فالأساس الاقتصادي للمجتمع أي أسلوبه في إنتاج السلع وبنائه للطبقات يؤثر في الأشكال التي تأخذها باقي المؤسسات في المجتمع بل ويتحكم فيها، أي معنى ذلك أن العامل الاقتصادي هو المحدد للجوانب الأخرى في المجتمع، وأنه لفهم المجتمع بشكل صحيح لابد من فهم الجانب الاقتصادي فيه.

لقد توصل ماركس إلى هذا الفهم من خلال محاولته للكشف عن المبادئ الأساسية للتاريخ حيث ركز بحثه حول البيئة الاقتصادية التي تتطور فيها المجتمعات وبشكل خاص الوضع الحالي لتكنولوجيتها وطريقتها في تنظيم الإنتاج مثل الصيد الجمع (الالتقاط) الزراعة ثم الصناعة، وحسب رأيه ففي كل مرحلة هناك مجموعة سائدة أو مهيمنة على المجتمع وأخرى مسودة أو خاضعة، وكان يعتقد بأن المجتمع منقسم إلى أولئك الذين يملكون وسائل الإنتاج وأولئك الذين لا يملكون وهذا ما يؤدي إلى قيام صراع الطبقات.² مما سبق نلاحظ أن ماركس يعتقد بأن العامل الاقتصادي هو الذي يحدد ويشكل باقي جوانب المجتمع.

ب- **الديالكتيك**: الديالكتيك أو الجدل (Dialectic) هي فلسفة اقتبسها "ماركس" من أستاذه "جورج هيجل" "Georg Hegel" والذي كان يرى أن لكل فكرة فكرة أخرى تناقضها وهي في صراع معها، ومع مرور الوقت كلا الفكرتين تضمحلان لتتولد عنهما فكرة جديدة تحمل معها فكرة تناقضها وهكذا.³ إذن فكل فكرة تحمل معها بذور فنائها والمتمثلة في الفكرة التي تناقضها. لقد كان إسهام "ماركس" يتمثل في نقل هذا النموذج

¹ - David B. Brinkerhoff and Lynn K. White, Op. cit, p. 9 ,10.

² - James W. Vander Zanden, Op.cit, p. 11.

³ - David B. Brinkerhoff and Lynn K. White, Op. cit, p.10.

في التغير الفكري وتطبيقه في الأنظمة الاقتصادية والمادية.¹ أي نقله من عالم الأفكار إلى العالم المادي لذلك سميت بالمادية الجدلية (Dialectical materialism). إذن هناك القضية ونقيض القضية والصراع بينهما يولد لدينا قضية جديدة لها أيضا قضية تناقضها وهي في صراع معها مما يولد قضية جديدة وهكذا. ويرى ماركس أن الملاك أي الرأسماليين هم القضية وأن غير الملاك أي العمال هم نقيض القضية، وكان يتوقع أن الصراع بينهما سيقود إلى نظام اقتصادي جديد أي إلى قضية جديدة هي الاشتراكية.²

إن الفلسفة الجدلية أو الديالكتيكية تنظر إلى التغير في المجتمع على أنه نتاج للتناقضات والصراعات بين أجزاء المجتمع، ويقترح النموذج الديالكتيكي للتغير بأن التغير يحدث من خلال الصراع والفناء وليس من خلال التطور،³ أي أن التطور يعتمد على الصدام بين التناقضات وإنتاج شيء جديد أي بنى أكثر تطورا من تلك التي تصادمت.⁴

وهكذا فإن ماركس يرى أن العالم يتسم بالتغير والدينامكية وليس بالثبات والاستقرار، كما يرى أن كل نظام اقتصادي يحمل في طياته بذور فئاته، ذلك أن كل نظام اقتصادي يسعى إلى تعظيم الكفاءة وفي نفس الوقت يطور تناقضاته الداخلية أو نقاط ضعفه التي تساهم في فئاته.⁵

¹ - Ibid, p.10.

² - Ibid, p.10.

³ - Ibid, p.10.

⁴ - James W. Vander Zanden, Op.cit, p. 11.

⁵ - Ibid, p.11.

من خلال ما سبق نستشف أن ماركس يرى بأن التضاد أي صراع الأضداد هو محرك عملية التغير، وأن كل نظام اجتماعي ينطوي على تناقض بين أجزائه هذا التناقض يولد صراعا بينها يؤدي إلى القضاء عليه وإقامة نظام اجتماعي جديد يختلف عنه ولكنه هو الآخر سيتعرض لما تعرض له سابقه وهكذا.

ج- قوى الإنتاج: يشير مفهوم قوى الإنتاج إلى المنتجين المباشرين (العمال) وكذا وسائل الإنتاج، أما علاقات الإنتاج فهي تشير إلى علاقات السيطرة والخضوع، وهذه العلاقات تستند إلى علاقة الأفراد بوسائل الإنتاج، فالقوة الغالبة والمسيطرة هي الفئة المالكة لوسائل الإنتاج، أما الفئة المغلوبة والخاضعة فهي الفئة غير المالكة لهذه الوسائل والتي لا تملك سوى قوة عملها.

د - الطبقة والصراع الطبقي: يعني مفهوم الطبقة "مجموعة موسومة بمكانتها في سياق الإنتاج، وهذه المكانة يحددها في آن واحد الدور التقني والعلاقة بوسائل الإنتاج، وفضلا عن ذلك إن هذه المجموعة تعي ذاتها وتكتشف وحدتها بالنسبة لمجموعات أخرى وتخوض نضالا ضدها".¹

وهكذا يتضح بأن دور الطبقة في عملية الإنتاج وعلاقتها بوسائل الإنتاج هي التي تحدد مكانتها فيما إذا كانت سائدة أو مسودة، ويرتبط بذلك ظروف أفراد هذه الطبقة إن كانت سيئة أو حسنة، ويلعب ذلك دورا هاما في تقرير أفكارهم ومواقفهم والتحكم فيها، مما يجعل منهم كتلة متوحددة ومتعاونة تعي ذاتها بذاتها، وذلك ما يعبر عنه "ماركس" بقوله: "الواقع الاجتماعي هو الذي يقرر الوعي الاجتماعي".² معنى ذلك

¹ - ريمون آرون، صراع الطبقات، تر: عبد الحميد الكاتب، سلسلة زمني علما، ط3، منشورات.
² - إحسان محمد الحسن، البناء الاجتماعي والطبقية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1985، ص54.

أن ظروف الأفراد هي التي تحدد وعيهم ومواقفهم، هذا الوعي الذي يصطلح عليه الماركسيون اسم "الوعي الطبقي"، أي أن تعي الطبقة ذاتها بأنها تكون فئة اجتماعية متميزة عن غيرها وأن مصالحها متعارضة مع مصالح غيرها وبذلك تخوض نضالا لأخذها، ويصطلح على هذا النضال اسم "الصراع الطبقي"، حيث يرى "ماركس" أن تاريخ المجتمعات البشرية هو تاريخ صراع الطبقات إذ يقول: "وهناك على مر العصور أحرارا وعبيدا أسيادا وعامة، إقطاعيا وقنا، سيادا في ورشة وعريف، أي سائدين ومسودين".¹ كما أنه يقول بأن كل التاريخ مكون من نضال بين الطبقات.²

وهكذا فالطبقات حسب "ماركس" ليست مجرد تقسيمات اعتباطية بل هي "مقولات تاريخية تشير إلى الأوضاع والمواقع المتصارعة التي شغلها الناس في أساليب الإنتاج المتغيرة تاريخيا، السيد والعبد، المالك الإقطاعي والقرن، الرأسمالي والعامل".³ وبذلك كلما تغير أسلوب الإنتاج تغيرت معه علاقات وقوى الإنتاج وبرزت طبقات جديدة متصارعة.

وبهذا نستنتج بأن الاتجاه الماركسي لا يؤكد على فكرة التكامل والتوازن فيما يؤكد على الصراع والتغيير، وهذا الصراع يأخذ صورة عامة وشاملة في المجتمع، وهو يمثل جوهر التغيير والانتقال الاجتماعي إلى المجتمع الاشتراكي، وهذا الصراع حسب ماركس هو عملية آيلة إلى الزوال بعد قيام المجتمع الاشتراكي، حيث يقول بأن

¹ - عبد العزيز رأس مال، كيف يتحرك المجتمع ونتائج ذلك على العلاقات الاجتماعية: دراسة سوسيولوجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 23. نقلا عن: K.Marks, F. Engels, Manifeste du Parti Communiste, Ed du progrès, Moscou, 1977, p. 34.

² - James W. Vander Zanden, Op.cit, p. 11.

³ - إرفنج زايتلن : المرجع السابق، ص 214، 213.

الصراع: " هو نضال يتجه لأن يتجاوز نفسه ويتغلب على نفسه ويتجه لأن يلغي نفسه ويزول بعد ثورة معينة".¹

معنى ذلك أن الصراع هو عملية تقود إلى مجتمع إشتراكي تنوب فيه الفوارق الطبقة ويختفي فيه الاستغلال وتختفي فيه المصالح المتعارضة، وبذلك ينتهي الصراع ويزول ومن ثم يصبح المجتمع خاليا من الصراع أي مجتمع لا طبقي.

هـ - البناء الفوقي: إضافة إلى البناء التحتي للمجتمع أي إلى الأساس الاقتصادي للمجتمع الذي يشتمل على أسلوب إنتاج السلع وبناء الطبقات، هناك البناء الفوقي للمجتمع والذي يعتبر انعكاس للبناء التحتي، وقد صور "ماركس" البناء الفوقي بأنه يتكون من "الإيديولوجيات السياسية والدين والتنظيم العائلي والتعليم والحكومة".²

وهكذا فحسب ماركس فان "القوة والقهر لم يكونا العناصر الفريدة المسؤولة عن السيطرة على الطبقات المقهورة"،³ أي أنه ينتقل إلى مستوى آخر من الضبط والتحكم والذي يتمثل في الايدولوجيا والقيم والأفكار السائدة في المجتمع والتي تخدم مصالح الطبقة الحاكمة والمسيطرة وتعمل على تكريس الاستغلال وإضفاء الشرعية عليه وبالتالي جعل الطبقات الأخرى تخضع بسهولة وتستسلم لهذا الواقع، وعليه نجد في المجتمع الرأسمالي سيادة بعض القيم مثل: المبادرة والحرية الفردية، المصلحة الخاصة، الحرية الاقتصادية وسيادة منطق الربح مهما كانت الوسائل، وهي قيم تفتح الطريق أمام الرأسماليين لاستثمار جهود العمال واستغلالهم.

¹ - ريمون آرون، المرجع السابق، ص 24.

² - James W. Vander Zanden, Op.cit, p. 12.

³ - رننج زايتلن، المرجع السابق، ص 197.

و- **الدولة:** يرى ماركس أن الدولة تمثل مصالح الطبقة المسيطرة في المجتمع، فهي وسيلة في يدها تحقق من خلالها أهدافها ومصالحها، وما التنظيمات البيروقراطية هي الأخرى إلا وسائل تمارس من خلالها الطبقة المستغلة سيطرتها على الطبقات الأخرى، ومن هنا يتضح أن وظيفة الدولة - حسب هذا الاتجاه - تتمثل في المحافظة على الأوضاع القائمة وتكريس الاستغلال الطبقي.

ثانيا - تحليل أسلوب الإنتاج الرأسمالي:

لقد اخضع "ماركس" أسلوب الإنتاج الرأسمالي إلى الكثير من الدراسة والتحليل والنقد، إذ يرى بأن هذا الأسلوب قد أدى إلى انقسام المجتمع إلى طبقتين هما: الطبقة البورجوازية وهي الطبقة المسيطرة والمالكة لوسائل الإنتاج، وطبقة العمال البروليتاريا¹ المجردة من شتى أنواع الملكية سوى قوة عملها التي تتبعها بثمن بخس (زهيد)، وهناك صراع دائم بين الطبقتين، أي أن هناك " صدام مباشر بين الذين يعملون في المعامل دون أن يملكوا أي شيء والذين يحوزون وسائل الإنتاج".²

إن سبب الصراع بين العمال وأرباب العمل هو النظام الرأسمالي القائم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وتكريس الاستغلال المسلط على العمال إلى أبعاد الحدود دون أي ضابط أو قانون يحميهم من ذلك، مما انعكس وبنعكس سلبا على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية وبذلك يتبنى العمال أو الصراع أوالنضال كأسلوب

¹ - استعمل ماركس مفهوم "البروليتاريا" للإشارة إلى العمال الذين يشتغلون في الصناعة بعضلاتهم من أجل كسب قوتهم والذين لا يملكون أي شيء سوى قوة عملهم. لمزيد من الاطلاع حول هذا المفهوم أنظر على سبيل المثال: دينكن مينتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة ومراجعة: إحسان محمد الحسن، ط2، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1986، ص 167.

² - ريمون آرون، المرجع السابق، ص 73.

لتحسين أوضاعهم ورفع الاستغلال عنهم، حيث يذهب "ماركس" إلى القول بأن الصراع "يشند كلما اتسع نطاق الإنتاج الرأسمالي (...)" وزاد شقاء الطبقة العاملة¹، حيث أنه يأخذ صورة نضال طبقي حاد يتحول في النهاية إلى ثورة يقودها العمال تقضي على النظام الرأسمالي وتقيم بدله مجتمعاً لا طبقي يتلاشى فيه الصراع.

ويرى "ماركس" من ناحية أخرى بأن أسلوب الإنتاج الرأسمالي "كان أسلوباً ثورياً إذا ما قورن بكافة الأساليب السابقة عليه، وأن الرأسماليين كطبقة في تثويرهم لوسائل الإنتاج يثورون أيضاً كافة ظروف الوجود الأخرى".² ومن هنا تظهر النظرة الشمولية في معالجة أو تصور ماركس للواقع الاجتماعي، كما يتبين أيضاً بأن علاقات الإنتاج هي التي تسبب الصراع الذي يحدث وينتشر في كافة المؤسسات الاجتماعية، أي أن الصراع ينطلق من مجال الإنتاج لينتقل إلى كافة المؤسسات ونواحي الحياة الأخرى سواء كانت سياسية أو ثقافية أو اجتماعية وبذلك فإن البنية التحتية هي المحرك الأساسي للصراع، والذي ينعكس على مستوى البنية الفوقية للمجتمع.

ثالثاً - التصور الماركسي للمنظمة:

مما سبق يتضح بأن المنظمة أو المؤسسة وفق الاتجاه الماركسي تتكون من طبقتين متعارضتين في المصالح ومتصارعتين، وأن سبب هذا الصراع يكمن في بناء السلطة داخل المنظمة والذي يعكس سيادة الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج على الطبقة غير المالكة، وهذه البنية التنظيمية تفرض أثناء أداء العملية الإنتاجية انفصالاً تاماً بين

¹ - عبد المنعم عبد الحي، علم الاجتماع الصناعي: المصنع ومشكلاته الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1984، ص 81.
² - إرفنج زايتلن، المرجع السابق، ص 214.

ظروف حياتهم المتدنية مردها إلى الواقع الذي تسيطر فيه أقلية من الناس أو الأفراد على وسائل الإنتاج، والتي يتعارضون معها في المصالح، وذلك ما يؤكد "ماركس" بقوله بأن: "جوهر الصراع يكمن في التضارب والتناقض بين مصالح الطبقات الاجتماعية التي تقرها طبيعة العلاقات الإنتاجية التي يكونها الإنسان مع وسائل الإنتاج والتي تقود إلى الصراع الطبقي الدائم".¹

إن علاقات الملكية تؤدي إلى خلق علاقات اجتماعية غير متكافئة، أي علاقات سيطرة وخضوع وما ينجر عنهما من صراع، حيث يقول "ريمون آرون": "الصراع على سلطة امتلاك وسائل الإنتاج قد خلق التضارب بين العمال وأرباب العمل"،² أي أن الصراع مرده إلى وسائل الإنتاج وما يتبعها من علاقات اجتماعية ومن ظروف ومصالح.

وهكذا يتضح بأن ملكية وسائل الإنتاج هي العامل الحاسم في مسألة الصراع، وهي المسؤولة عن وجود علاقات السيطرة والخضوع، لذا أكد "ماركس" على ضرورة تغيير نظام الملكية حتى يتغير البناء الاجتماعي ويتم إلى مجتمع لا طبقي تنتقل فيه الملكية من ملكية خاصة إلى ملكية جماعية (عامّة) يزول معها الاستغلال والسيطرة وتبرز المساواة.

وبذلك فالاتجاه الماركسي يركز على الجانب المادي لإحداث التغيير الكلي للبناء الاجتماعي والقوى الفاعلة في مجال الإنتاج.

¹ - دينكن ميتشيل، المرجع السابق، ص56.

² - ريمون آرون، المجتمع الصناعي، تر: فكتور باسيل، سلسلة زني علماء، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1983، ص28.

وباختصار فإن جوهر الصراع حسب النظرية الماركسية يكمن في تناقض المصالح بين الطبقات الاجتماعية، وهذه المصالح تقررهما طبيعة علاقات الإنتاج والملكية والتي تقود إلى صراع طبقي دائم.

من خلال ما سبق فإن الصراع حسب المنظور الماركسي ينطلق من المنظمة أو المؤسسة ليتجاوزها إلى المجتمع ليشمل أو يعم باقي مؤسساته ويتحول إلى صراع طبقي في المجتمع بأكمله، وهذا ما يؤكد "ماركس" بقوله: "إن صراع الطبقات الذي نشب في قلب المجتمع هو نتيجة النزاع القائم بين العمال وما لكي وسائل الإنتاج الذي يخلق التضاد بين العمال وأصحاب وسائل الإنتاج".¹

رابعا - نقد الاتجاه الماركسي:

لاكتمال العرض حول الموضوع لا بد من التعرف على الانتقادات التي وجهت لهذا الاتجاه، حتى نعرف أوجه النقص أو القصور حتى يمكن تداركها.

لقد وجهت للاتجاه الماركسي عدة انتقادات² تدور بعضها حول كونه اقتصر في تفسيره لظاهرة الصراع على العامل الاقتصادي ونظام الملكية وهذا غير كافي نظرا لوجود أسباب أخرى سواء كانت ثقافية أو دينية أو حضارية أو شخصية أو سياسية أو فكرية وغيرها، أي أن ماركس ذكر فقط على الصراع الطبقي القائم على تعارض المصالح الاقتصادية وأهمل وجود مصالح أخرى غير اقتصادية ووجود عوامل وأسباب أخرى غير اقتصادية كذلك.

¹ - ريمون آرون، المجتمع الصناعي، ص 28.

² حول الانتقادات الموجهة للاتجاه الماركسي أنظر بشكل خاص: معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر: دراسة تحليلية ونقدية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1991، ص ص 64 - 74.

كما أن هذا الاتجاه عند تحليله للبناء الاجتماعي ركز فقط على الصراع إلا أن ذلك غير دائم، فالبناء الاجتماعي يتضمن ظاهرة الصراع وظاهرة التضامن في آن واحد، أي أنه يعيش حالات من التوازن والاضطراب.

ومن جهة فإن هذا الاتجاه يُرجع التغيرات الاجتماعية داخل المجتمع إلى ظاهرة الصراع الطبقي وحده وهذا غير صحيح دائما، فهناك تغيرات اجتماعية مصدرها الاحتكاك الثقافي والحضاري وإدخال تكنولوجيات جديدة وغيرها، أي أن التغيير الاجتماعي لا يحدث دائما بفعل الصراع.

ومن جهة أخرى فإن تحليلات ماركس لا تتناسب مع طبيعة المجتمعات الرأسمالية الحديثة والتي تختلف عن تلك عايشها ماركس ودرسها خلال القرن التاسع عشر والتي تتميز بالاستغلال الكبير للعمال، وذلك لكونه يعتمد في تقسيمه الطبقي للمجتمع على نظام الملكية وعلاقات الإنتاج، ففي ما مضى كان المالك لوسائل الإنتاج هو السيد أو المشرف على إدارة المصنع، أما الآن فقد تغير الوضع وظهرت فئة المديرين والمشرفين (نوي اللياقات البيضاء) وأصبح الملاك لا يتولون إدارة مشاريعهم بأنفسهم وإنما يسندون ذلك إلى فئة متخصصة في الإدارة، أي أن مالك وسائل الإنتاج قد خرج من نطاق التفاعل الاجتماعي داخل المؤسسة (المنظمة)، وهذا ما جعل ملكية وسائل الإنتاج تتراجع كعامل حاسم في عملية الصراع وذلك بفعل ظهور فئة تدير وتحكم ولكن لا تملك. كما أن مفهوم الطبقة العاملة الذي تغنت به الماركسية كثيرا أخذ يتراجع، وذلك لانقسام هذه الطبقة إلى فئات متدرجة خاصة بعد ظهور فئة المسيرين أو المشرفين أو ما يسمى بذوي اللياقات البيضاء وفئة المنفذين أو ما يسمى بذوي اللياقات الزرقاء واتساع الهوة بينهم سواء من حيث طبعة أدوارهم و وظائفهم أو من حيث

مصالحهم، وهذا ما يقلل من حجم الوعي الطبقي لديهم أي شعورهم بالانتماء لطبقة واحدة بسبب تغلغل المصالح الخاصة والفئوية وشعورهم بالانتماء إلى فئتين مختلفتين .

يضاف إلى ذلك أن تنبؤ ماركس بقيام ثورة يقودها العمال تكون بمثابة نهاية الرأسمالية وبداية الاشتراكية لم تحدث في المجتمعات الرأسمالية كما كان يعتقد، كما أن تنبؤ بزوال الطبقات لا يعدوا أن يكون مجرد انفصال عن الملكية (زوال الملكية الخاصة) ففي المشاريع الصناعية الضخمة التي تتولى الدولة إدارتها (ملكية الدولة لوسائل الإنتاج) لم يتغير نمط الترتيب الطبقي بها وكذلك سلم الأجور، إذ بقي كل شيء على حاله أي وجود تمايز بمعنى أن هناك فئات تحكم وفئات تنفذ فئات تحظى بامتيازات وأجور عالية وفئات لا تحظى بأي امتياز وأجورها ضعيفة، وهذا ما يدحض الوهم القائل بأنه: " يكفي تعديل الطريقة القانونية لتملك وسائل الإنتاج لكي يوضع حد للتوترات داخل المشروع، وما من سبب للاعتقاد أيضا أنه حالما تصبح جميع وسائل الإنتاج للدولة فإن مدار المنازعات السابقة يختفي".¹

غير أن ماركس قد تقطن لهذه القضية في آخر عمره عندما تعرض لشركات المساهمة التي تنفصل فيها الملكية عن الإدارة وخروج مالك وسائل الإنتاج من دائرة التفاعل الاجتماعي.

ومهما وجهت من انتقادات لماركس فهو لم يقم سوى بدراسة الواقع الذي عايشه والمتمثل في المجتمع الرأسمالي خلال القرن التاسع عشر والذي استنبط منه أفكاره وتحليلاته وتطوراته وتنبؤاته.

¹ - ريمون آرون، صراع الطبقات، المرجع السابق، ص 25.

خاتمة:

من خلال العرض السابق تم التوصل إلى النتائج التالية حول تصور الاتجاه الماركسي للمنظمة أو المؤسسة، وهي:

- المنظمة هي الوحدة الاجتماعية التي يتم فيها التفاعل الاجتماعي بين طبقة العمال وطبقة الرأسماليين.
- يتحدد البناء الاجتماعي للمنظمة على أساس ملكية وسائل الإنتاج.
- المنظمة أو المؤسسة وفق هذا الاتجاه تتكون من طبقتين متعارضتين في المصالح ومتصارعتين، وأن سبب هذا الصراع يكمن في بناء السلطة داخل المنظمة والذي يعكس سيادة الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج على الطبقة غير المالكة.
- المنظمة ليست وحدة مغلقة على ذاتها بل هي متفتحة على مجتمعها وهي التي تقود إلى إحداث التغيير داخل المجتمع، أي أن رياح التغيير تنطلق من المنظمة أولاً لتشمل باقي المجتمع.
- المنظمة تعيش حالة من الصراع الدائم بين الذين يملكون وسائل الإنتاج وبين العمال الذين لا يملكون سوى قوة عملهم.
- ملكية وسائل الإنتاج وتعارض المصالح بين الطبقات الفاعلة في مجال الإنتاج أو داخل المنظمة هي المسؤولة عن الصراع الطبقي الذي ينطلق إلى باقي المجتمع، أي أن المنظمة تشكل بؤرة الصراع والتعارض.

• المنظمة تسير نحو حالة الاستقرار والتوازن وذلك بعد القضاء على الطبقات المالكة لوسائل الإنتاج وانتهاء الصراع الطبقي أي أنها تسير نحو منظمة لا طبقية.

أما فيما يخص النتائج المتعلقة بنقد الاتجاه الماركسي في تصور للمجتمع والمنظمة فتمثل في الآتي:

- ✓ كون الاتجاه الماركسي اقتصر في تفسيره لظاهرة الصراع على العامل الاقتصادي ونظام الملكية وهذا غير كافي نظرا لوجود أسباب أخرى سواء كانت ثقافية أو دينية أو حضارية أو شخصية أو سياسية أو فكرية وغيرها.
- ✓ كون هذا الاتجاه عند تحليله للبناء الاجتماعي ركز فقط على الصراع إلا أن ذلك غير دائم أو مستمر بدون انقطاع، فالبناء الاجتماعي يتضمن ظاهرة الصراع وظاهرة التضامن في آن واحد، أي أنه يعيش حالات من التوازن والاضطراب.
- ✓ إن هذا الاتجاه يُرجع التغيرات الاجتماعية داخل المجتمع إلى ظاهرة الصراع الطبقي وحده وهذا غير صحيح دائما، فهناك تغيرات اجتماعية مصدرها الاحتكاك والانتشار الثقافي والحضاري وإدخال تكنولوجيات جديدة وغيرها، أي أن التغيير الاجتماعي لا يحدث دائما بفعل الصراع.
- ✓ إن تحليل ماركس لا يتناسب مع طبيعة المجتمعات الرأسمالية الحديثة وذلك لأنه يعتمد في تقسيمه الطبقي للمجتمع على نظام الملكية وعلاقات الإنتاج، حيث تغير الوضع وظهرت فئة المديرين وأصبح الملاك لا يتولون إدارة مشاريعهم بأنفسهم، أي أن مالك وسائل الإنتاج قد خرج من نطاق التفاعل

الاجتماعي داخل المؤسسة (المنظمة)، وهذا ما جعل ملكية وسائل الإنتاج تتراجع كعامل حاسم في عملية الصراع، وذلك بفعل ظهور فئة تدير وتحكم ولكن لا تملك.

✓ إن مفهوم الطبقة العاملة الذي تغنت به الماركسية كثيرا أخذ يتراجع، وذلك لانقسام هذه الطبقة إلى فئات متدرجة خاصة بعد ظهور فئة المسيرين أو المشرفين أو ما يسمى بذوي اللياقات البيضاء وفئة المنفذين أو ما يسمى بذوي اللياقات الزرقاء واتساع الهوة بينهم سواء من حيث طبيعة أدوارهم و وظائفهم أو من حيث مصالحهم، وهذا ما يقلل من حجم الوعي الطبقي لديهم أي شعورهم بالانتماء لطبقة واحدة بسبب تغلغل المصالح الخاصة وشعورهم بالانتماء إلى فئتين مختلفتين.

✓ إن تنبؤ ماركس بقيام ثورة يقودها العمال تكون بمثابة نهاية الرأسمالية وبداية الاشتراكية لم تحدث في المجتمعات الرأسمالية كما كان يعتقد.

✓ إن تنبؤ ماركس بزوال الطبقات لم يتحقق حتى في الدول الاشتراكية، حيث أن زوال هذه الطبقات لم يعدوا أن يكون مجرد انفصال عن الملكية (زوال الملكية الخاصة) في المشاريع الصناعية الضخمة التي تتولى الدولة إدارتها (ملكية الدولة لوسائل الإنتاج) لم يتغير نمط الترتيب الطبقي بها وكذلك سلم الأجور، إذ بقي كل شيء على حاله أي وجود تمايز بمعنى أن هناك فئات تحكم وفئات تنفذ فئات تحظى بامتيازات وأجور عالية وفئات لا تحظى بأي امتياز وأجورها ضعيفة.

وفي الأخير فإننا نوصي بانجاز بحوث أخرى لتوضيح تصورات باقي الاتجاهات الفكرية في علم الاجتماع للمنظمة حتى يمكن إفادة الدارسين والباحثين

سواء في علم الاجتماع أو باقي التخصصات الأخرى بإسهامات علماء الاجتماع والنظريات الاجتماعية في دراسة المنظمة.

المراجع

- 1- نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع: طبيعتها وتطورها، تر: محمد عودة وآخرون، ط 7، (مصر، دار المعارف، 1982).
- 2- ارفنج زايتلن، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع: دراسة نقدية، تر: محمد عودة وإبراهيم عثمان، (مصر: دار المعرفة الجامعية، 1993)
- 3- ريمون آرون، صراع الطبقات، تر، عبد الحميد الكاتب، سلسلة زدني علما، ط3، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1983.
- 4- إحسان محمد الحسن، البناء الاجتماعي والطبقية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1985.
- 5- عبد العزيز رأس مال، كيف يتحرك المجتمع ونتائج ذلك على العلاقات الاجتماعية: دراسة سوسيولوجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- 6- دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة ومراجعة: إحسان محمد الحسن، ط2، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1986، ص 167.
- 7- عبد المنعم عبد الحي، علم الاجتماع الصناعي: المصنع ومشكلاته الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1984.
- 8- السيد الحسيني، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، ط4، مصر: دار المعارف، 1983،
- 9- ريمون آرون، المجتمع الصناعي، تر: فكتور باسيل، سلسلة زدني علما، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1983.
- 10- معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر: دراسة تحليلية ونقدية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1991.

المراجع الأجنبية

- 11-David B. Brinkerhoff and Lynn K. White, **Sociology**, 2nd Ed, West Publishing Company, N.Y, 1988.
- 12-James W. Vander Zanden, **Sociology**, 4th Ed, McGraw-Hill, Inc, N.Y, 1996
- 13-K.Marks, F Engles, **Manifeste du Parti Communiste**, Ed du progrès, Moscou, 1977.
- 14-Ralf Dahrendorf, **Class and class conflit in industrial society**, Sanford university press, 1959.